[148] المخلوقات على صفاته واحدة واحدة مثلا بإحكامها وإتقانها على كون فاعلها عالما وبتخصيص بعضها بأمر ليس في الآخر على كونه مريدا. ونحو ذلك الحكماء الطبيعيون (1) يستدلون بوجود الحركة على محرك، وبامتناع اتصال الحركات لا إلى أول على وجود محرك أول غير متحرك، ثم يستدلون من ذلك على وجود مبدأ أول. وأما الإلهيون فلهم في الاستدلال طريق آخر وهو أنهم ينظرون أولا في مطلق الوجود أهو واجب أم ممكن يستدلون من ذلك على إثبات موجود واجب ثم بالنظر في لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة بوجه ما المستلزم لعدم الجسمية والعرضية والجهة وغيرها ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور أفعاله عنه واحدا بعد آخر وقالوا: هذا الطريق أعلى واجل من الطريق الأول لأن الاستدلال بالعلة على المعلول أولى البراهين بإعطاء اليقين لكون العلم بالعلة المعينة مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس (2). وقال بعض العلماء هذه طريقة الصديقين الذين يستدلون بوجوده على وجود كل شئ إذ هو منه ولا يستدلون عليه بوجود شئ لأنه أظهر وجودا من كل شئ فإن خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره وظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره والواجب على أهل كل طريق ترك التعرض لمعرفة ذاته وصفاته ومقدار عظمته كما أشار إليه على وجه العموم بقوله. (ولا تتكلموا في ا) أي في ذاته وصفاته (فإن الكلام في ا لا يزداد صاحبه إلا تحيرا) (3)

_____

1 - قوله " نحو ذلك الحكماء الطبيعيون " أي الماهرون في العلوم الطبيعية لا منكروا الإلوهية أو الشاكون في ما وراء الطبيعة والإلهيون هم الحكماء الإلهيون من سائر الأمم ونقل قولهم وأدلتهم ليس للاعتماد عليهم تعبدا بل النظر والتأمل، والاطمينان النفس في الجملة بأنهم لم يكن إيمانهم با واليوم الآخر تقليدا ولا لمتابعة الأنبياء تعبدا فإن إفلاطون وأرسطو وأمثالهما كانوا قبل عيسى (عليه السلام) بمئات من السنين ولم يكونوا من اليهود ولا من أمة موسى (عليه السلام) بل لم يعتمدوا إلا على عقولهم فإذا رأيناهم مؤمنين با واليوم الآخر ولا نتهمهم بتقية وتقليد ورأينا دليلهم متقنا أخذناه كما قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) " الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها ". (ش) 2 - قوله " المعلول المعين من غير عكس " فإنا إذ رأينا بيتا بعينه علمنا أن له بانيا وأما أن بانيه من هو فلا نعلم بعينه بخلاف ما إذا عرفنا الباني بعينه من حيث أنه بان بالفعل فإنه يستلزم العلم بالبيت المعين فإن قيل قد نعرف الباني بعينه ولا نعرف البيت الذي بناه بعينه قلنا المراد من العلم بالعلة العلم بها من حيث هي علة بالفعل كما قلنا لا العلم بشخص من يمكن أن يكون علة بالقوة. (ش) 3 -

قوله " لا يزداد صاحبه إلا تحيرا " لأن البشر يعتقد في بدء أمره أن الموجود جسم متحيز في مكان ومتصف بقدر وكيفية فإذا أراد معرفة ذاته تعالى فكل ما يتبادر إلى ذهنه هو من صفات الاجسام وهذا يؤدي إلى التشبيه بل التجسيم، فإما أن يعترف به وبجسمه وهو التشبيه المنهي عنه أو ينكر وجوده نعوذ با وهو حد التعطيل = (*)
